مدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة

د. قيس عبد العزيز مهدي الدوري* و د. إبراهيم عزة إبراهيم**

مقدمة:

كان الحديث النبوي الشريف واحدا من المدونات التاريخية المهمة كونه شمل أقوال وأفعال الرسول الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، لما للناس من حاجة في ذلك، فقد قام التابعون بجهد كبير من أجل جمع أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتنقية أحاديثه من الشوائب التي قد تطرأ عليها وكان السبيل للوصول إلى هذه الغاية إن يذكر سند الحديث عند روايته فيقال: (حدثني فلان... عن فلان... عن الـــ:.....) أن هذه الخطوة مهمة لتحري الرواة فيما إذا كانوا أهلاً للثقة أو غير ذلك ثم الانتقال إلى الخطوة الت الية إذا أخذوا" يُشرحون الرجال، فيجرحون بعضاً ويعدلون بعضاً " أي علم الجرح والتعديل (1).

إن علماء المسلمين هم اشتغلوا في علم الحديث والتاريخ، وبما أن الاشتغال في علم الحديث سبق علم التاريخ، فمن الطبيعي أن يتأثر الأخير بطريقة المحدثين في جمع الرواية التاريخية وتعداها إلى أكثر من ذلك، فكان مؤرخو السيرة والمغازي يجمعون الأخبار ويدرسونها بإسنادها إلى المصدر الأصلي الذي يكون موثوقا به، وهذه الثقة تأتي من نوع مشارك في الأحداث أو القرب منها، وكان شاهد عيان، أو أخذها من مصدرها الأصيل، وكانوا يطبقون على الروايات التاريخية قواعد علم الجرح والتعديل فالتعديل يكون على الرواة الأمر الذي قاد بالنتيجة إلى صحة الأخبار المروية من تاريخ السيرة، والأحداث الإسلامية وكانوا يوثقون روايتهم بطبعها غاية في الدقة كالسنين والشهور والأيام، فكانوا سباقين في هذا المجال عن مؤرخي الأمم الأخرى(4). أما عن الأسلوب الذي تناولوا فيه المادة التاريخية، ففي البداية صار

---

* أستاذ مساعد – جامعة صنعاء

** أستاذ مساعد – جامعة صنعاء

(1) احمد أمين، فجر الإسلام، ط، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــــم) جـ، ط

(2) حاطوم، نور الدين، وآخرون، المدخل إلى التاريخ، (مطبعة الإنشاء – دمشق ـــــم) ط

(3) نصار، حسين، نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط، (بيروت ـــــم) ط.

(4) هرنشو، علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، سلسلة المعارف العامة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـــــم، ط

أسلوب عرض الحادثه التاريخية على أسلوب وخطى علم الحديث وعلى اعتبا ر أن التاريخ فرع من علم الحديث، فبعد أن تنتهي عملية جمع المادة، تبدأ عملية الترتيب والتركيب مستفيدين من الآيات القرآنية ثم تطور هذا الأسلوب إلى الترتيب الزمني (5) ومن علم السيرة تطور علم التاريخ وتعددت فروعه كالطبقات عن المحدثين الفقهاء الأطباء والفتوح، ثم توزعوا في الاقتصار على الأقاليم الإسلامية الفقهاء الأطباء والفتوح ثم توزعوا في الأمصار و الأقاليم الإسلامية (مؤرخو البلدان) ثم التراجم (6) ومن استقرار الأصول الأولى لتدوين نجد هناك عملية التفسير التاريخي وأسلوب النقد والتحليل وهذا يعني أن الفلسفة وجدت طريقها إلى المدونات الإسلامية منذ المراحل الأولى لتدوين، فكانت الفكرة الأولى بحكم الطابع الديني الذي يميز الحركة العلمية في صدر الإسلام ثم نجد الجبرية في العصر الأموي، وكرد فعل على الجبرية تظهر حرية الإرادة ومسؤولية البشر مما يقترفون.(7)

(5) روزينثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة د صالح احمد العلي، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بغداد –نيويورك، [illegible]م، [illegible].

(6) الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية (بيروت[illegible])، ط[illegible].

(7) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دراسة في تطورعلم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، ط[illegible]، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان[illegible]م)، ج[illegible] ط[illegible]، هرنشو، المصدر السابق، ط[illegible].

المبحث الأول

الحديث النبوي الشريف:

الحديث في اللغة: ضد القديم، والحدوث: نقيض القدامة. حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، كذلك استحداثه(8) وفي الاصطلاح فقد عرف علم الحديث كثير من العلماء المتقدمين، واختلفت عباراتهم في ذلك، لأن كل واحد نظر من زاوية معينة فبنى عليها تعريفه لهذا العلم ومن تتبع أقوالهم، يظهر أنها تدل على أن علم الحديث يطلق على ثلاثة معاني :

أولاً: أنه يطلق على نقل ورواية ما أضيف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من أقواله التي قالها وأفعاله التي فعلها أو تقريراته – أو ما فُعل أمامه فأقره – أو أوصافه – يعني شمائله صلى الله عليه وسلم وسيرته قبل البعثة وبعده أو نقل ما أضيف إلى الصحابة و التابعين. وعلم الحديث بهذا المعنى يسمى (بعلم الحديث رواية).

ثانياً: انه يطلق على الطريقة أو المنهج الذي أتبع في كيفية اتصال الأحاديث من حيث أحوال رواتها ضبطاً وعدالةً، ومن حيث كيفية السند أتصالاً وانقطاعاً. وعلم الحديث بهذا المعنى هو المعروف بعلم (أصول الحديث).

ثالثاً انه يطلق على البحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها مبنياً على قواعد العربية وضوابط الشريعة ومطابقاً لأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ولكل معنى من هذه المعاني فوائد وكالاتي:

١. المعنى الأول فائدته يحفظ السنة النبوية ومعرفتها ونشرها بين المسلمين ومن عمل به هو محمد بن شهاب الزُهري رحمه الله في خلافة عمر بن عبدالعزي ز رضي الله عنه

---

(1) ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدما له الشيخ عبدالله العلايلي، أعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت – بلا ت – مجلد

(2) الحسني، محمد بن علوي ين عباس المالكي المكي، المنهل اللطيف في أحوال الحديث الشريف ط ،(مكة المكرمة هـ م)، ط-ص.

فأنه كتب إلى أهل الآفاق: أن انظروا ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبوه فاني خفتُ دُروس العلم وذهاب العلماء.

٢. فائدة النوع الثاني هو معرفة درجات الأحاديث وتميز الصحيح والحسن من السقيم والدخيل.

٣. فائدة النوع الثالث هو معرفة الأحكام الشرعية وبيان القرآن الكريم والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وغايته والتحلي بالآداب النبوية بعد التخلي عما يكرهه وينهاه حتى يفوز المؤمنون بسعادة الدنيا والآخرة. ولكن المشهور في كتب هذا الفن هو تقسيم الحديث إلى حديث دراية وحديث رواية.

معايير النقد للسند والمتن:

فأما بالنسبة للسند، فإنهم اشترطوا في الراوي: العدالة والضبط، والحفظ،في كل راو من رجال الحديث فلا يؤخذ من الكذابين، ولا من الفساق ولا من أصحاب البدع والأهواء إلا مع الشروط الخاصة بذلك واشترطوا في جميع السند الاتصال من أوله إلى آخره ومعناه أن يكون كل راو من الرواة سمع ممن فوقه هذا الحديث الذي يرويه وهكذا حتى يتصل إلى آخر من نقل عنه الخبر، سواء أكان مرفوعاً أو موقوفاً. وأما بالنسبة للمتن فقد ذكر العلماء المصطلحات والقواعد لمعرفة الحديث الصحيح والحسن والضعيف وذكروا أيضاً علامات يعرف بها الحديث الموضوع وهي كالآتي:

١. إقرار واضعه أنه وضعه.

٢. ما يتنزل منزلة إقراره.

٣. مخالفه الحديث للعقل بحيث لا يقبل التأويل.

٤. مخالفة الحديث للحس والمشاهدة.

٥. مخالفة دلائل الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الاجتماع القطعي مع عدم إمكان الجمع.

٦. تصريحه بتكذيب رواة جمع المتواتر.

٧. أن يكون خبراً عن أمر جسيم تتوفر الدواعي على نقله بمحضر الجمع ثم لاينقله منهم إلا واحد.

٨. أن يكون فيه الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير أو الوعد العظيم على الفعل الحقير وهذا كثير من حديث القصاص(10).

الجرح والتعديل:

وهما نوعان كل نوع منهما علم مستقل وهو ثمرة هذا العلم والمرقاة الكبيرة منه.

التعديل هو لغة: التسوية وتقويم الشيء وموازنته بغيره. والتعديل أيضاً وصف العدالة والعدل كمصدر هو القصد في الأمور وهو ضد الجور، والعدل المرضي يوصف به القاضي والراوي والشاهد.واصطلاحاً : هو وصف الراوي بصفات تقتضي قبول روايته، فهو شهادة التزكية وقبول وتصحيح للمرويات.

الجرح هو لغة: التأثير في الجسم سلاح ونحوه وجرحه جراحاً إذا أثر في ه بالسلاح وجرحه.واصطلاحاً: ذكر الراوي بصفات تقتضي عدم قبول روايته. وهو طعن يؤثر في الراوي ويسقط عدالته ويمنع قبول مروياته.

نشأة علم الجرح والتعديل:

نشأ علم الجرح والتعديل في ظل الإسلام فقد عدل القرآن وجرح كما تقدم بيانه وتكلم فيه الصحابة والتابعون ويعتبر علم الجرح والتعديل خاصاً بهذه الأمة فلا وجود له في أمة من الأمم السابقة لأن هذه الأمة أهتمت بحفظ أحد فروع علوم الحديث وكانت بداية التدوين فيه مع بداية الرواية وبداية الوضع في الحديث عندما ظهر الكذابون والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء بروز الفتنة وظهور أهل الأهواء والبدع وأول من زكى وجرح في عهد التابعين الإمام الشعبي ومحمد بن سرين وحفظ عنهما توثيق أناس وتضعيف آخرين.

أما عصر الصحابة فإنه يكاد لا يوجد جرح لأن الصحابة كلهم عدول كما وصفهم القرآن بالرضاء القبول ومدحهم بالثقة والأمانة وهم عدول وعصر التابعين كان فيه القليل النادر من المجروحين والجرح في عصر التابعين لا يتجاوز سوء الحفظ فقد وجد فيهم الواحد من

الضعفاء كالحارث الأعور. وإنما برز الجرح والتعديل كعلم قائم له أهله ورجاله وقواعده وأسسه بعد عصر التابعين عندما كثرت رواية الضعفاء والمناكير والمجاهيل من الرواة [12].

أشهر رجال الجرح والتعديل وأشهر مصنفاته:

الجرح والتعديل من الأمور المهمة التي يحول عليها تميز الحديث المقبول من المردود والصحيح من الحسن والضعيف أن القرآن الكريم حث عليها وتكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم كما تكلم الصحابة ابن عباس وأنس بن مالك وعبادة بن الصامت، ومن التابعين الشعبي وابن سيرين، وسعيد بن المسيب وغيرهم جاء بعدهم أتباع التابعين في كل طبقة و جماعة وأول من تكلم في رجال الحديث شعبة بن الحجاج (ت. 160هـ) ثم تبعه يحيى بن سعيد القطان (ت198هـ)ثم (يحيى بن معين (ت 233هـ) (وأحمد بن حنبل ت 241هـ). والمراد أن هؤلاء المتأخرين أول من عني وتفرغ للكلام والنقد في الجرح والتعديل والتأليف ممن كانت له معرفة به (الإمام مالك (ت 179هـ) (الأوزاعي ت 157هـ) وسفيان الثوري (ت 161هـ) وابن المبارك (ت181هـ) ومحمد بن سعد صاحب الطبقات (ت 230هـ) وعلي بن المديني (ت 334هـ) والامام البخاري (ت 256هـ) وإسحاق بن راهويه(ت 238هـ) وأبو داود (ت275هـ) وأبو زرعة الدمشقي(ت281هـ) ومسلم (ت 261هـ) وأبو زرعة الرازي (ت 264) وأبو حاتم الرازي (ت 277هـ) وأبن عدي (ت 315هـ) والنسائي (ت303) والدار قطني (ت 385هـ) وابن حبان (ت 354هـ) وابن أبي حاتم (ت 327) وغيرهم من الأئمة في كل عصر.

وكما أشتهر رجال من الأئمة والنقاد والحفاظ في الجرح والتعديل كذلك اشتهرت مؤلفاتهم في هذا الفن فمن أشهر الكتب في هذا الفن كتاب التاريخ ليحيى ابن معين (ت233هـ) وكتاب (التاريخ الكبير) للإمام البخاري (ت 261هـ) وكتاب (الجرح والتعديل) (لأبي حاتم ت 327هـ) وكتاب الطبقات الكبير) لمحمد بن سعد (ت 230هـ) (والكامل في الضعفاء) (ابن عدي ت 315هـ) وغيرها من الكتب التي قد يطول ذكرها[13].

---

(12) الاهدل المصدر نفسه، ص

(13) الاهدل المصدر نفسه، ص

تاريخ تدوين السنة:

إن الدور الأول لحفظ السنة في القرآن الكريم – عصر الصحابة و أكابر التابعين لم يكن مدونا في بطون الكتب و إنما كانت مسطورة على صفحات القلوب في صدور الرجال مهد التشريع النبوي و مصدر الفتوة ومبعث الحكم و الأخلاق. و لم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها: روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه و حدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))، قال كثير من العلماء نهاهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن وهذا لا ينافي جواز كتابته إذا أمن اللبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا و بين قوله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفى فيه ((ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) وقوله عام الفتح ((اكتبوا لأبي شاه)) و أذن لعبد الله بن عمر بتقييد العلم.

ولما توفى النبي صلى الله عليه وسلم بادر الصحابة إلى جمع ما كتب في عهده من القرآن في موضع واحد وسموا بذلك (المصحف) واقتصروا عليه و لم يتجاوزوه إلى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكن صرفوا همهم إلى نشره بطريق الرواية إما بنفس الألفاظ التي سمعوها منه صلى الله عليه وسلم أن بقيت في أذهانهم أو بما يؤدي معناها إن غابت عنهم فإن المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبنى بخلاف القرآن فإن للألفاظ مدخلاً في الإعجاز فلا يجوز إبدال لفظ منه بآخر ولو كان مرادفاً له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أ ن يقيد بالكتابة و أما السنة فتقيدها مباح ما أمن الاختلاط.

فأنت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الأحاديث المتضاربة لكن نظرة أبن القيم في كتابه (زاد المعاد) أثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي أو في القصة أن رجلاً من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال: اكتبوا لي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (اكتبوا لأبي شاه) يريد خطبه ففيه دليل على كتابة العلم و نسخ النهي عن كتابة الحديث فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه). وهذا كان أول الإسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن في الكتابة لحديثه و صح عن عبدالله بن عمر أنه كان

يكتب حديثه و كان مما كتبه صحيفة تسمى (الصادقة) وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع بن عمرو والأئمة الأربعة.

وبذلك مرت السنة المطهرة بأدوار مختلفة و مراحل متعددة في حلقات متسلسلة، يترتب بعضها على بعض، حتى وصلت إلى الوضع الحالي، وبتحرير الفرق بين كل مرحلة وبيان صفتها ، يتجلى لك تاريخ تدوين السنة على حقيقتها في وضوح تام. والمراحل التي لها أهمية كبرى في تاريخ السنة ثلاث هي :

١ – كتابتها.

٢ – تدوينها على وجه العموم.

٣ – تدوينها مع الاقتصار على الصحيح.

كتابة السنة:

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بترقيه الكتابة و النهوض بها والعمل على نشرها عناية شديدة. وهذا ظاهر واضح من صنيعه صلى الله عليه وسلم في بدر، إذ جعل فداء بعض الأسرى في بدرٍ ممن يعرفون الكتابة ، أن يعلم الواحد منهم عشرةً من صبيان المسلمين بالمدينة المنورة القراءة والكتابة، ولا يطلق إلا بعد أن يتم تعليمهم. وقد أستعمل النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة في تدوين ما يترل من القرآن الكريم ، وفي إرسال الرسائل إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام، واتخذ لذلك كتاباً من الصحابة، هذا وقد كتب القرآن كله بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم على الرقاع والعسب والحجارة.

وفي مقابلة أمره بكتابة القرآن، نهى عن كتابة الحديث منعا للوقوع في خطر التغيير و التبديل، ودفعاً لاشتباه الآية من القرآن بالحديث من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. نهى أصحابه عن كتابة السنن وتدوين الأحاديث حتى يتسع المجال أمام القرآن، و ي أخذ مكانه من الحفظ و الكتابة معاً ، و حتى يثبت في صدور الحفاظ و تألفه أسماعهم، وبذلك يزول خطر الالتباس(15)

فروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أته قال: ((لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، و من كتب عني شيئاً غير القرآن، فليمحه)) (16)فمنعهم من كتابة الحديث ووكله إلى حفظهم، وأجاز لهم روايته و نقله عنه، مع تحذيرهم من الكذب عليه. (17)

وقد صدر إذنه بالكتابة بصفةخاصة لبعض من خصهم بذلك من الصحابة كأبي شاه فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه لما فتح الله على رسوله مكة، قام الرسول صلى الله عليه وسلم و خطب في الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له: أبو شاه فقال: يا رسول الله، اكتبوا لي، فقال: ((اكتبوا له))، وفي روايه ((اكتبوا لأبي شاه)) (18).

وبذلك ثبت الإذن العام منه صلى الله عليه وسلم بالكتابة في حديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه إذ قال له صلى الله عليه وسلم: ((اكتب، فوالدي نفسي بيده، ما خرج منه إلا حق)) (19) واشارة بيده إلى فمه صلى الله عليه وسلم وقال عبدالله بن عمر رضى الله عنه أقيد العلم ؟ قال نعم، قلت وما تقييده ؟ قال: ((الكتابة))(20).

تدوين السنة:

لما انتشر الإسلام و اتسعت البلاد و شاع الابتداع ، وتفرق الصحابة بالأمصار، ومات كثير منهم في الحروبِ وغيرها، وكاد أن يقل الضبط و تضعف ملكة الحفــظِ ودعت الحاجة إلى تدوين السنة كلها و كتابتها ، فكتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى إلى عامله و قاضيه على المدينة المنورة أبي بكر بن حزم:

انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتب، فأني خفت دروس العلم و ذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر. وكذلك كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسلامية بجمع الحديث، وممن كتب إليه بذلك محمد بن شهاب الزهري الذي سنتناول ترجمته لاحقاً، ومن هذا الوقت أقبل

---

(16) الحسني، المنهل اللطيف في أصول الحديث الشريف، ص[illegible]-[illegible]

(17) مسلم، صحيح مسلم [illegible] رقم الحديث [illegible] كتاب الزهد

(18) الحسني، المصدر نفسه، ص[illegible]

(19) ابو داود [illegible] رقم الحديث [illegible] كتاب العلم

(20) أحمد [illegible] رقم الحديث [illegible]

(21) الطبراني، المعجم الأوسط [illegible] رقم الحديث [illegible]

العلماء(21) على كتابة السنن و تدوينها و شاع ذلك في الطبقة التي تلي طبقة الزهري، وكان هذا ابتداء التدوين العام في هذه المرحلة ، وهو التدوين الرسمي الذي دعت إليه الحكومة الإسلامية آنذاك في النصف الأول من القرن الهجري الثاني، وفيه نشطت حركة التصنيف و الجمع و الكتابة فشارك في ذلك كثيرً من أئمة العلم وفحول الرواية (22).

تدوين الصحيح:

ذكرنا أن الكتب و المصنفات التي كانت ثمرات الأمر الرسمي بتدوين السـُـنة في المرحلة الثانية لم يعتن أكثرها بالتمييز في ذلك الجمع بين صحيح الأخبار وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وترتيبها و تنسيقها و ضم بعضها إلى بعض بحسب المناسبات، وهذا مما يعجز عن إدراكه غير أهل الفن، ولذلك تحركت همة إمام الحديث أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله لجمع طائفة كبيرة من الأحاديث التي صحت أسانيدها، وسلمت متونها من العلل مرتبة على أبواب الفقه و السير والتفسير، و مراعياً القواعد و الأحوال التي أصدرها علماء أصول الحديث لضبط مقاييس الصحة و موازينها(23).

المبحث الثاني

مدرسة أهل الحديث:

وفيما يتعلق بالأسلوب فمن استقراء الأصول نجد أنه، عربي، بسيط، سهل، قوي في تصويره للأحداث التاريخية يختلط بالوضوح والحياة. (24)

ونجد المأخذ على هذا المنهج عندما نسجل الملاحظة عنه انه تاريخي سياسي منصب على الأفراد والحروب وإهمال شؤون الناس الأخرى، فهو نتيجة تأثره بعلم الحديث فقد ركز على نقد الرواة دون المتن، أي الابتعاد عن النقد بصورة عامة. (25)

---

(21) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، صحصح البخاري، القاهرة – بولاق[illegible]هـ[illegible] باب كيف يقبض العلم

(22) الحسني المنهل اللطيف ط[illegible]

(23) الحسني المصدر نفسه ط[illegible]

(24) هرنشو، المصدر السابق، ط[illegible]

(25) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد المغربي ([illegible]هـ) في المقدمة، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، بلا ت)، ط[illegible]

أما شيوخ هذه المدرسة فقد قسموا إلى ثلاث طبقات، وذلك يعود إلى ترتيبهم الزمني وأخذ بعضهم عن البعض الأخر وهذه الطبقات هي :

الطبقة الأولى: وتضم سعيد بن عبادة الخزرجي، وسهل بن أبي خيثمة الأنصاري (ت 95هـ) سعيد بن المسيب وأبان بن عثمان بن عفان (ت 105هـ) عروة بن الزبير (ت594هـ) شرحبيل بن مسعد (ت123هـ) أبو فضالة عبدالله بن كعب مالك الأنصاري (ت97هـ)القاسم بن محمد بن أبي بكر (107هـ) وهب بن منبه (ت110هـ) (26).

الطبقة الثانية: وتضم عبدالله بن أبي بكر بن أبي حزم (ت 135هـ) عاصم بن عمرو بن قتاده (ت 119هـ) ومحمد بن شهاب الزهري (ت 124هـ) ابوروح الاسدي المدني (ت130هـ) (27).

الطبقة الثالثة: وهي الطبقة التي اعتمدت على اسلوب الزهري، وضمت موسى بن عقبة الأسدي المدني (ت 140هـ)، محمد بن اسحق المطلبي (ت152هـ) معمر بن راشد المصري (ت154هـ) أبو معشر السندي (ت 170هـ)، محمد بن عمر الواقدي (ت 207هـ). (28)

أما فقهاء المدينة المنورة من التابعين فهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن ابي بكر وعروة بن الزبير وخارجة بن يزيد بن ثابت وأبو سلمة بن عبدالرحمن بن عوف وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة وسليمان بن يسار وهناك رأي أقر بأن فقهاء المدينة المنورة اثنا عشر وهم سعد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن والقاسم بن محمد وسالم بن عبدالله بن عمر وحمزة بن عبالله بن عمر وزيد بن عبدالله بن عمر وعُبيدالله بن عبدالله بن عمر وبلال بن عبدالله بن عمر وأبان بن عثمان بن عفان وقبيصة بن ذؤيب وخارجة بن يزيد بن ثابت واسماعيل بن زيد بن ثابت (29). وهؤلاء يدينون الفضل إلى مؤسسي هذه المدرسة عبدالله بن عباس (ت 78هـ)

---

(26) ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت852هـ)، تهذيب التهذيب مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، (الهند 1325)، ج 5، ص345.

(27) نصار، حسين، المصدر السابق، ص45-46 مصطفى، شاكر، المصدر السابق، ص111 الزحيلي، ص45.

(28) سالم، السيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر(1967)، ص111.

(29) النيسابوري ـ ابي عبدالله، محمد بن عبدالله الحافظ النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق الدكتور السيد معظم حسين ومراجعة وتخريج الأحايث زهير شفيق الكبي، ط2، مطبعة دار احياء العلوم (بيروت1977)، ص3، ص5.

الذي يعد من فقهاء المدينة المنورة، وهو واسع العلم والإطلاع لذلك لقب بحبر الأمة،كما انه قريب من بيت النبوة وهو جد خلفاء بني العباس وإضافة إلى معرفته الدينية فقد كان يهتم بالشعر واللغة والحساب (30). وقد روى ابن الأثير عن عطاء بن رباح " كان الناس يأتون ابن عباس للشعر وناس للأنساب، وناس لأيام العرب ووقائعها... " (31).

وأخيرا آخر من مثل هذه المدرسة محمد بن عبدالله محمد بن سعد (ت 230هـ).

وان مؤسسي هذه المدرسة وشيوخه ا هم من الصحابة والتابعين، ولهذا كانت لهم منزلة اجتماعية رفيعة في المجتمع الإسلامي. وإن ارتباط التدوين التاريخي بالحديث والسيرة النبوية الشريفة، اكسب المؤرخين والمحدثين تلك المكانة، لأن علماء المسلمين لم يدونوا التاريخ لأجل التاريخ بل كان بعضهم يعد الاشتغال بالتاريخ حراماً يكسبهم الإثم لأن نقل الأخبار عن أناس غير موجودين يحمل صفة الغيبة والقذف لا يص ح بين المسلمين، وأدى أن هذا الرأي ليس فيه شيء من الصحة لأن التاريخ لا يعني هذا المفهوم أي مفهوم الغيبة وإنما يمثل هنا سجلا لوقائع الماضي بكل ما يحمل للأجيال من مثل وقيم وشجاعة وبطولة وأصالة... الخ

ولا يعني أن يحمل صفة الغيبة أو القذف لأن الإنسان في طبيعته هو تاري خ يحمل صفة زمنية ابتداء من الولادة وحتى الوفاة، لذا فأن هذه المقولة أرى فيها الشئ الكثير م ن عدم الصحة – والدليل أيضا على ذلك أن الواعز الديني هو الذي دفع المحدثين إلى التدوين التاريخي فكانوا يحرصون على ضمان نزاهة القلم واللسان، و لهذا فأن مدوناتهم تحمل طابع الصدق والنزاهة – ولكن بعد أن انفصل علم التاريخ عن علم الحديث بدأ يتطرق إلى مواضيع بعيدة عن السيرة، ونجد المؤرخ، وأن كان استمر على الأخذ بطريقة المحدث في الرواية بذكر السند، إلا أنها اقل منه لان المؤرخ أصبح شخصاً آخر غير المحدث (32).

عـــروة بن الزبـــير:

---

(30) نصار، حسين، المصدر السابق، ط، مصطفى، شاكر، مصدر سابق-ج/ ط.

(31) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري (ط هـ)، أسد الغابة في معرفه الصحابة تحقيق محمد إبراهيم البناء وآخرون، مطبعة الشعب، (القاهرة)، مج، ط

(32) حاطوم، المصدر السابق، ط

وهكذا فقد بدأت الدراسات التاريخية متمثلة بجهود مشتركة تتمثل بحلقات للدراسة تحيط كل حلقة بشيخ وحين يجتاز الطالب هذه المرحلة من العلم والدراسة فأنه يجوز له تكوين حلقة علمية خاصة به وتكون حلقته مفتوحة لمن يريد الدراسة وتسير الرواية في سلسلة، ونتيجة لذلك ونتيجة لتلك الحلقات فقد تكونت مدرسة في التاريخ والحديث والفقة وعرفت أيضا بمدرسة المغازي كون نشأتها ووجهتها ارتبطت بجهود المحدثين والفقهاء فقد برز من بين هؤلاء ء عروة بن الزبير بن العوام وتلميذه الزهري (33)

عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ب ن كلا ب القرشي الأسدي(34) المدني الفقيه (35)، من بيوت أشراف قريش، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق(رضي الله عنه)،خالته عائشة، واخو عبدالله بن الزبير الثائر على الحكم الأموي وزوجته أم يحيى وأخوه من أبيه مصعب بن الزبير صاحب كتاب (نسب قريش) (36)

وكان عروة شديد الأعتزاز والأفتخار بنسبه وقد ذكر ذلك: " وفد عروة مع الحجاج، فقال يوما: قال ابي بكر، فقال الحجاج: لا أم لك، اتكني منافقا عند أمير المؤمنين، فقال له: إلي تقول لا أم لك، وأنا ابن عجائز الجنة ؟ أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وجدتي صفية بنت عبد المطلب، وخالتي عائشة، " (37). وكان عروة بن الزبير يكنى أبا عبدالله (38)

وقد اختلفت الروايات التاريخية في تحديد سنة ولادته، إذا ذكرت السنوات 22هـ، 23هـ 26هـ 29 لكن الرواية الأقرب إلى الصحة هي التي ذكرت أن ولادته سنة 23هـ حيث كان يوم الجمل عنده ثلاث عشر سنة (39)

---

(33) الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ط.

(34) ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر(ت.هـ) وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، بلا ت)، ج. ص.

(35) الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت.هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة، (بيروت .م)، ج. ص. ، ابن ح جر، تهذيب التهذيب، ج. ص..

(36) الزبير، أبا عبدا لله لمصعب بن عبدا لله بن مصعب (ت.هـ) كتاب نسب قريش، تحقيق ليقي بروفنسال ط.، دار المعارف، (القاهر.)، ص..

(37) ابن سعد، محمد بن سعد (ت.هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت، بلا ت)، ج. ص.

(38) ابن سعد، نفس المصدر، ج. ص..

(39) ابن حجر، المصدر السابق، ج./ص..

حيث رد الصغر سنه حيث كانت الوقعة سنة (36هـ) وبما أنه كان ابن ثلاث عشرة سنة فتكون ولادته في سنة 23هـ. (40).

نشأته، علمه:

كانت نشأته في المدينة المنورة، وفيها أخذ علمه لقربه من بيت النبوة ولأنه قضى حياته في تتبع الحديث وكان احد الفقهاء نسبة في المدينة (41)، وروى الحديث عن كبار الصحابة وقد تأثر عروة في نشأته بالحركة الدينية المزدهرة في المدينة وكان لتلقيه العلم على يد شيوخ المدينة دور في تكوينه الفكري والديني فكانت عائشة مصدره الأول في روايته، وعبدالله بن عباس، وعروة بن العاص، وأسامة بن زيد، وإبي هريرة، كما روى عن أبيه وأخيه عبدالله، وكان لحرصه على الدرس جعله يكون أحد الفقهاء السبعة فقد روي تلميذه الزهري عن قبيصة بن ذؤيب قال " كنا نجتمع في حلقة المسجد بالليل، أنا ومصعب وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن، وعبد الملك بن مروان، وعبد الرحمن المسور، وأبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، عبيدا لله بن عبدا لله بن عتبة، وكنا نفترق بالنهار، فكنت أنا أجالس زيد بن ثابت وهو مترئس بالمدينة بالقضاء والفتوة والقراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلي (رضي الله عنهم) ثم كنت أنا أجالس أبي بكر بن عبد الرحمن وأجالس أبا هريرة، وكان عروة يغلب بدخوله على عائشة " (42)، حتى روى هشام عن أبيه عروة: " ما ماتت عائشة حتى تركتها قبل ذلك بثلاث سنين " (43) وهذا يبين طول ملازمته لها لطلب العلم.

و لم يكن عروة يقتصر في طلبه للعلم على ما كان يسمعه من شيوخه في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بل كان يسعى لكل صحابي يسمع الحديث منه، فعن هشام عن أبيه: " ولقد كان يبلغني عن الصحابي الحديث، فأتيه فأجده قد قال، فأجلس على بابه ثم اسأله عنه " (44)وكان عروة يحرص على تدوين الفقه حيث روى هشام عن أبيه فقال " احرق أبي يوم

---

(40) الدر وري، المصدر السابق، ط[illegible]-[illegible].

(41) الفقهاء السبعة، أبو بكر بن عد الرحمن، القاسم بن محمد، عروة بن الزبير، سعيد بن المسيب سليمان بن يسار، خارجة بن زيد، عبدا لله بن عبدا لله بن عتبه، ينظر بن خلكان المصدر السابق، (فقه تراجم للفقهاء أسبعة)..

(42) الذهبي، سير أعلام النبلاء،/ج[illegible]/ط[illegible]

(43) الأصبهاني، أبو نعيم احمد بن عبد الله (ط[illegible]هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، القاهرة[illegible]، ج[illegible] ط[illegible].

(44) الذهبي، المصدر السابق، ج[illegible]/ط[illegible]

الحرة كتب فقه كان له فكان يقول بعد ذلك لأن تكون عندي أحب إلي من أني يكون لي مثل أهلي ومالي " (45). وكان عروه بن الزبير يعبر عن نظرته للدنيا فيقول: " أمنيتي الزهد في الدنيا والفوز في الآخرة وأن أكون ممن يروى عنهم العلم " (46) حتى قال عنه الخليفة عمر بن عبد العزيز: " ما احد اعلم من عروة بن الزبير " وقال عنه الزهري: " كان عروة بحرا لا يكدره الدلاء " (47). ان هذا التوجه لعروة جعله يتبؤ مكانة عإليه بين الفقهاء فكان يحاط بطلاب العلم أينما حل، فقد روى ابن أبي الزناد: حثني عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن قال: " دخلت مع أبي المسجد فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل، فقال أني انظر من هذا، فنظرت فإذا هو عروة، فأخبرته وتعجبت فقال: يا بني لا تعجب لقد رأيت أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم يسألونه " هذا وعلى الرغم من نشأته في المدينة ووجوده فيها في أيام حركة أخيه إلا أنه لم يشترك في الأحداث السياسية التي ظهرت في عهده وكان قد مضى حياته بين الدرس والتدريس لزهده في الدنيا. حتى قال ابنه هشام " ما سمعت أحدا من أهل الأهواء يذكر أبي بسوء " (48) وعن احمد بن عبدا لله العجلي قال " عروة بن الزبير تابعي، فقيه، رجل صالح لم يدخل شيء من الفتن " (49).

ولقد ذكرت لنا الأصول التاريخية شيوخ عروة من الذين روى عنهم وهم: علي بن أبي طالب رضي الله عنه والزبير بن العوام (أبيه) وعبدالله أخيه، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحكيم بن حزام وزيد بن ثابت وأبو أيوب الأنصاري وابو هريرة، حجاج الأسلمي، سفيان بن عبدالله الثقفي، عبدالله بن عمرو بن العاص، محمد بن مسلمه، المسور بن مخرمة، المغيرة بن شعبة، جابر بن عبدالله الأنصاري و أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق و خالته عائشة، عمرة الأنصارية، ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أسماء بنت عميس، نافع بن جبير بن

---

(45) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج□، □□□□

(46) ابن خلكان، وفيات الأعيان،/ج□ □□□□، ابن حجر، تهذيب التهذيب /ج□ □□□□.

(47) الذهبي، سير الأعلام النبلاء، ج □□□□.

(48) الذهبي، المصدر نفسه، جـ /، □□□□

(49) الذهبي نفس المصدر، جـ□،□□□□

مطعم و أم هاني بنت أبي طالب، ناجية الأسلمية، ضباعه بنت الزبير، أبي مروح الغفاري، أم حبيبة بنت أبي سفيان، أم شريك فاطمة بنت قيس وآخرون (50)

رحلته إلى الشام وصلته بالأمويين:

كان لعروة بن الزبير بالأمويين صلة، وخاصة عبد الملك بن مروان قبل أن يكون خليفة على المسلمين فكان عروة وأخوته وعبد الملك بن مروان وآخرون يحضرون الاجتماعات كل ليله في المسجد (51) ومن هذه الاجتماعات أصبح عروة موضع ثقة وتقدير عبد الملك بن مروان، حتى أنه قال: " من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير " (52) وهذه العلاقة الطيبة استمرت تجمع بينهما على الرغم من موقف أخيه عبدالله، فبعد أن قتل أخوه ارتحل إلى الشام والتقى بعبد الملك بن مروان الذي قضى له حاجته بدفن جثة أخيه ، وقد ذكر هورفش:

" لانعلم شيئاً عن اية زيارة أخرى من عروة لعبد الملك " (53) إلا ان ابن خلكان يذكر رواية عن رحلته إلى الشام طلب من عبد الملك سيف أخيه اذ يقول " ولما قتل اخوه عبدالله قدم عروة على عبد الملك بن مروان فقال له يوماً: اريد ان تعطيني سيف أخي عبدالله فقال له: هو بين سيوف ولا أميزه بينها، فقال عروة إذا احُضرت السيوف ميزته انا وأمر عبد الملك بإحضارها، فلما أحضرت أخذ منها سيفاً مفتل الحد، فقال: هذا سيف أخي، فقال عبد الملك: كنت تعرفه قبل الآن؟ فقال: لا، فقال: كيف عرفته ؟، قال يقول النابغة الذبياني : لاعيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب. (54)

ان الاختلاف في عدد زيارته إلى دمشق لا يعنين ا هنا، ولكن زيارته إلى الشام في عهد عبد الملك سواء كانت مرة أو أكثر فهي لم تحمل طابع الرحلة في طلب العلم وأما في عهد الوليد بن عبد الملك فقد تكررت زيارته إلى الشام على الرغم من ان سبب الرحلة لا تذكرها

(50) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج[illegible] ،الذهبي، نفس المصدر – ج[illegible]

(51) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج[illegible]

(52) نفس المصدر

(53) هورفتش، يوسف المغازي الأولى ومؤلفوها، تعريب حسين نصار، مطبعة مصطفى البازلي الحلي، القاهرة[illegible]

(54) ابن خلكان، المصدر السابق، ج[illegible]

المصادر صراحة وتكتفي بالإشارة إلى أنه في هذة الرحلة قعد دجلة وولده (55)، ولكن من استقراء الأصول نجد ان رحلته كانت لدعوة وجهها الوليد إلى عروة – لمكانته العلمية وبعده عن السياسة بعد ان جاءه الخبر بما أصاب قدمه، وإلا لماذا كان القطع في مجلس الوليد وان ابنه محمد مات في اصطبلات الوليد بعد أن وقع تحت أقدام الدواب، فعن الزهري انه قال: " وقعت الأكلة في رجل عروة فصعدت حتى ساقه، فبعث اليه الوليد، فحمل اليه ودعا الأطباء، فقالوا ليس له دواء إلا القطع، فقطعت فما تغير وجهه " (56) وتتحدث المصادر عن قوته وصبره عند قطع رجله، " فقطعت رجله و لم يشعر الوليد أنها قطعت حتى كويت فشم رائحة الكي " (57)

وكان احسن من عزاه في مصابه ابراهيم بن محمد بن طلحة فقال له: " والله ما بك حاجةإلى الشيء ولا أدب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة والكل تبع للبعض إن شاء الله تعإلى، وقد ابقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك..... " (58)

وهذه الرحلة إلى الشام كانت للعلاج، وقال عروة عنها: " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " (59).

وكان لعروة بن الزبير صلة بالخليفة عمر بن عبد العزيز، وتتضح هذه الصلة من خلال ولاية عمر على المدينة بل كان عروة واحدا من الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم عمر بن عبد العزيز بل ذهب أكثر من ذلك حينما ولي المدينة أراد أن يكون حكمه سديدا وعدله مستنداً إلى فقه العلماء فقد عين عشرينا من فقهاء المدينة لكي يستفيد بعلمهم ويستفيد من فقههم

(55) ابن الجوزي ،جمال الدين أبي الفرج عبدا لرحمن القرشي(ت[illegible]ه) صفة الصفوة ،ط[illegible] مطبعة الدار السلفية، (ال[illegible])ج[illegible] ص[illegible]

(56) الاصبهاني، حلية الأولياء.ج[illegible] ص[illegible]

(57) ابن خلكان، وفيات الأعيان،/ج[illegible] ص[illegible].

(58) نفس المصدر، ج [illegible] ص[illegible]

(59) نفس المصدرج[illegible] ص[illegible]

فكان لا يقطع أمرا بدونهم وكان عروة بن الزبير واحداً منهم (60)، حتى قال عنه عمر: " ما احد اعلم من عروة بن الزبير " (61).

رحلته إلى البصرة:

رحل عروة بن الزبير بعد أن ضاقت به الحال في ألمدينة المنورة وكان ابن عباس عاملا عليها وروى الذهبي " أنه قدم البصرة على ابن عباس،وهو عامل عليها، فقال انشده

أمن بأرحام إليـــــــك قريبة ولأقرب بالأرحام ما لم تقرب

فقال لعروة: من قال هذا؟ قال أبو أحمد بن جحش، قال ابن عباس، فهل تدري ما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: لا قال له: صدقت ثم قال له: ما أقدمك البصرة ؟ قال له اشتدت بي الحال (62) وقد قضى له ابن عباس دينا كان عليه. وهذه الرحلة أيضا لم تكن لطلب العلم.

رحلته إلى مصر:

بعد رحلته إلى البصرة شد رحاله إلى مصر، حيث أقام فيها سبع سنوات، وقد روى ابن حجر عن ابن يوسف قال: " قدم مصر وتزوج بها امرأة من بن بني ,وعله، وأقام بها سبع سنين، وكان فقيها فاضلا " كما روى عروه بن الزبير عن رحلته هذه: " أقمت بمصر سبع سنين، وتزوجت بها، فرأيت أهلها مجاهيد، وقد حمل عليهم فوق طاقتهم، وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد وشيء مفروض عليهم " (63) لقد كانت فترة أقامته بمصر من 58هـ 65هـ (64).

ثم رجع بعد ذلك إلى المدينة المنورة.

رحلته إلى مكة:

---

(60) ابن سعد الطبقات الكبرى ج □، □□□

(61) نفس المصدر، ج □ □□□ ؛ الذهبي، سير إعلام النبلاء،/ج□□□□

(62) الذهبي، سير أعلام النبلاء،/ج□□□□

(63) ابن حجر، تهذيب التهذيب،/ج□ □□□

(64) البلاذري، احمد بن يحي بن جابر (□□□هـ) فتوح البلدان، نشرة صلاح الدين المنجدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ب ت، □□□

كانت إقامته في مكة أثناء محاصرة أخيه عبدالله فيها من قبل الحجاج، روى عنه هشام بن عروة " أقام ابن الزبير بمكة تسع سنين، وعروة معه " ثم عاد إلى المدينة بعد إن قتل أخوه وانتهت المعركة.

نستشف مما تقدم في رحلاته إنها لم تكن لطلب العلم بل كانت رحلات لها أسبابها الخاصة بها، وإذا ما أردنا تقييم هذه الشخصية فأننا نرى انه عالم من علماء المدينة فقيهاً محدثاً تقياً عليماً بالسنة والمغازي تابعي جليل شريف النسب فما هي حاجته لطلب العلم في رحلات كهذه.

مدونات عروة التاريخية:

أشارت الروايات التي وصلتنا عن كتب عروة أنها لم تصل منها شيء إلا ما ذكرته المدونات المتأخرة عن تلاميذه كما في الطبري والواقدي وغيرهما، كما أن المصادر القديمة لا تذكر انه دون كتابي المغازي إلا ما ذكره حاجي خليفة بقوله: ((إن أول من صنف في المغازي))(65) وهذه الاشارة جعلت الآراء تتضارب فيما إذا كان قد دون مصنف المغازي أم لا.

إن أسلوب عروة لم يقتصر على تلقين تلميذه لمعلمه بل كان يدون الكتب لنفسه غير أنه احرق هذه الكتب والسبب فيما تذكره الروايات ، عن أبي الزناد قال عروة (كنا نقول لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله فمحوت كتبي ، فو الله لو وددت أن كتبي عندي..) (66) وعند ابنه هشام قوله: ((أحرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له ، ثم قال بعد ذلك لئن تكون عندي أحب إلي أن يكون مثل أهلي ومالي)) (67) كما يذكر ابن حجر عن ابنه هشام قوله: ((إن أباه كان أحرق كتباً فيها فقه ، ثم قال لوددت أني كنت فديتها بأهلي وما لي)) (68). ونرى أن السببين يكمل احدهما الأخر ، فلم يكن لتدوين الكتب عرف سائد آنذاك بل كان الاعتماد على الذاكرة هو الأساس، وبأثر الدوافع الدينية كانوا يرون عدم جواز وجود كتاب أخر مع

(65) حاجي خليفة مصطفى بن عبدا لله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بالملا كاتب الجلبي
(66) ابن حجر ،المصدر السابق ، ج ، ص .
(67) ابن حجر المصدر السابق ، ج ، ص .
(68) ابن حجر المصدر السابق ج ص .

القرآن، حتى أنهم كانوا يرفضون تدوين الحديث، وكان يوم الحرة والخوف على هذه الكتب لهذا لم يصلنا من غير تلك الإشارات، و لم يدون عروة بعد تلك الكتب التي أحرقت، فقد روي عنه، ولقد أهملت حتى كدت أنسى))(69)

إن ما يهمنا من مدونات عروة بن الزبير ما يختص منها الأحداث التاريخية، والمادة التاريخية لعروة جاءته كما نقل إليه من الأخبار عن الصحابة وآل النبي صلى الله عليه وسلم كما أنه شاهد عيان لتلك الأحداث لقربه إليها من الناحية الزمنية والمكانية لهذا امتازت رواياته بالدقة، والثقة(70)و تمثل كتابات عروة بن الزبير أقدم المدونات التاريخية المتعلقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وصلتنا كتاباته في مقتطفات ذكرها الطبري والواقدي وابن إسحاق على شكل رسائل أرسلها عروة جوابا على رسائل وصلته من عبد الملك بن مروان وكانت هذه الرسائل تتضمن بالهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة ، وغزوة بدر ، ووفاة خديجة ، وفتح مكة(71).

أما الرسائل التي أرسلها عروة إلى أبن أبي هنيدة فكانت تتعلق بزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أخت الأشعث بن قيس، وسبب نزول الآية: ((يا أيها الذين أمنوا إذا جاءكم المؤمنات المهاجرات فامتحنوهن..))(72) وهنا نجد الأهمية التاريخية لبيان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من هجرة النساء إلى المدينة (73)وهذه الرسائل رواها هشام بن عروة والزهري. (74)وفي هذه المادة نجده كثير التفصيل فيما يتعلق بمغازي الرسول صلى الله عليه وسلم حيث لم تقتصر رواياته على هذه الرسائل فقط بل يضاف إليها رواياته لتلاميذه عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم من نزول الوحي حتى وفاته، وعن فترة الخلفاء الراشدين، وعن حملة أسامة بن زيد، والردة، واليرموك والقادسية، ووقعة الجمل، وأخبار الزبيريين (75). وعند

(69) ابن سعد المصدر السابق ج□ □□□.
(70) حاجي خليفة نفس المصدر، ج□ □□□□.
(71) هشام السيرة النبوية ،تحفتي همام سعيد محمد عبدا لله صعليك ،ط الأولى ـ مطبعة مكتبة المنار ـ الأردن الزرقا□□□□ □□□□م ، ج□ □□□□.
(72) هور فيش المغازي □□□□
(73) الدوري بحث في نشأة علم التاريخ □□□.
(74) هور فيش المغازي □□□ ة نصار نشأة التدوين □□.
(75) الدوري المصدر السابق □□□.

ملاحظة الروايات المتعلقة بفترة الراشدين فإنه يتعذر تكوين فكره عن نظرة عروة التاريخية فهو قد ذكر إشارات من فترة الراشدين إذا ما قورنت نسبياً في الأخبار التي يوردها عن الردة، أما مادته وأسلوبه في المغازي فنرى عروة قد تطرق في مغازيه إلى بدء الوحي و بداية الدعوة والهجرة إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة وتناول أيضاً سرية عبد الله بن جحش، وغزوة بدر الكبرى و غزوة قينقاع والخندق، وغزوة بني قريضة وصلح الحديبية وحملة مؤتة، وفتح مكة، وغزوة حنين و الطائف و بعض مراسلات الرسول صلى الله عليه وسلم وأواخر أيامه، هذا ونستشف أن روايته جاءت على شكل رسائل وأجوبة وروايات جاءت على شكل حديث حدث بها طلبته وروايات تطرق بها في مغازيه(76).

وكل ما نستنتجه في الروايات التي أوردناها أن عروة بن الزبير حدث في المغازي متبعاً في مروياته أسلوب أهل الحديث فكانت رواياته دقيقة وموثقة لمكانته ومنزلته وصلاته الاجتماعية من كونه كان يستقي معلوماته من منابعها الأصلية يغلب عليها طابع الإسناد في بعض الروايات وقد عني بالوثائق المكتوبة إضافة إلى مروياته الشفوية وقد أورد جملة من كتب ورسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وهي ناحية مهمة في وجهة الكتابة التاريخية كما أنه كان يستشهد بالآيات القرآنية لاسيما التي تتعلق بالحوادث ونرى ذلك واضحاً في حديثه عن الهجرة وفي توضيحه لنفسية المسلمين عن الخروج إلى بدر وهذا كله يشير إلى الصلات المبكرة لارتباط التفسير بالتاريخ حيث سار الاستشهاد بالآيات في المغازي شيأ مألوفا، وتأتي قيمة الرواية بكونها ثقة أو غير ثقة لاسيما فيما يتعلق بنقلها وأشهر الذين روى عنهم عروة كانوا معروفين بالثقة ومن هنا نرى أن أغلب رواياته كانت تمتاز بالدقة، والحيوية، (77)أما أسلوبه فقد أمتاز بالدقة والواقعية، وبعده عن الخيال والمبالغة، وفيه حيوية وسلاسة و هو يمهد للحادثة أحياناً في مقدمة يضعها في موضعها التاريخي وتجعل الحديث متسلسلا متصلا، مما مر نلاحظ أن الدراسات التاريخية بدأت متصلة بالحديث بل أنها فرع منه، وأن أسلوب الرواية فيه هو نفس الحديث شكلا وكان مجهود عروة مجهودا خطيرا جعل للدراسات التاريخية بداية قائمة حين

(76) الدروي المصدر السابق ص.

(77) الدوري المصدر السابق ص ص.

جمع الكثير من الأحاديث التاريخية فيما بعد ولذلك نجد أن ما توقف عنده عروة بن الزبير قد أتمه الزهري الذي يعد من واضعي الأسس الراسخة التي رسمت وجهة الدراسات التاريخية كما أنه يمكننا من معرفة إذا كانت أصول المغازي ترجع بنشأتها إلى القصص الشعبي كما يرى البعض أو أنها ترجع إلى الدراسات الجبرية التي قام بها المحدثون(78).

وفاته:

يشير ابن سعد أن سنة وفاة عروة كانت سنة أربع وتسعين للهجرة حيث قال: ((مات عروة بن سعد الزبير في أمواله بمجاج في ناحية الفرع ودفن هناك يوم الجمعة سنة أربع وتسعين ، قال محمد بن عمر: كان يقال لهذه السنة سنة الفقهاء لكثرة من مات فيها منهم)) (79).

ولقد ذكر عن عروة أنه مات وهو صائم حيث يروي ابنه هشام: ((إن أباه كان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم النحر ، ومات وهو صائم))(80).

الامام الزُهري محمد بن مسلم بن عبدالله:

نسبه، نشأته، وفاته:

محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أبو بكر القرشي الزهري المدني (81)وعرف ايضاً بابن شهاب وهو أحد الأعلام من أئمة الإسلام، وتابعي جليل، ولد الزهري في المدينة سنة إحدى وخمسين للهجرة (82)، ونشأ فيها، عاش يتيما بعد أن مات أبوه في فترة شبابه الأولى وكان فقيراً ورغم ذلك كان جاداً وحريصاً في طلب العلم ، فتأثر ببيئته الدينية والثقافية فيذكر الزهري ذلك بنفسه: ((نشأت وأنا غلام لا مال لي مقطع من الديوان وكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبه بن حضير الغدوي

(78) نفس المصدر.

(79) ابن سعد ، الطبقات.

(80) الذهبي سير أعلام النبلاء ،ج.

(81) الزبيري كتاب نسب قريش ط ،الذهبي تذكرة الحافظ ط ،مطبعة الدار السلفية ـ الهند ج سيرة أعلام النبلأ ج.

(82) الذهبي سيرة أعلام النمبلأ ،ج ،.

وكان عالما بنسب قومي، وهو أبن أختهم و حليفهم)) (83) وقد اتفقت أغلب المصادر على أنه توفي في 17 رمضان سنة 124هـ(84).

طـــــــــلبه للعلم:

بدأ الإمام الزهري حياته العلمية في فترة مبكرة وكان أول ما أتجه إليه هو القرآن الكريم، جرياً على العرف السائد في تلك الفترة، فذكر الذهبي أنه حفظ القرآن في ثمانين يوما (85). وبعد أن أنهى المرحلة الأولى ـــ حفظ القرآن ـــ دفعته الرغبة العلمية إلى تعلم الأنساب على يد الصحابي عبد الله بن ثعلبة بن حضير (86)وبعد هذه المرحلة أنتقل إلى شيخه سعيد ابن المسيب الذي يروي عنه كثيراً وقد ذكر ذلك بقوله: ((....وكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة بن حضير وكان عالماً بذلك وهو ابن أخت قومي وحليفهم فأتاه رجلا فسأله عن مسألة من الطلاق قضى بها وأشار إلى سعيد بن المسيب فقلت في نفسي ارني مع هذا الرجل المسن الذي يعقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على رأسه ولا يدري ما هذا، فانطلقت مع السائل إلى سعيد ابن المسيب، وجالست عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبه وأبا بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام حتى فقهت)) (87)

وهكذا تدرج الزهري في طلبه للعلم من القرآن الكريم إلى الأنساب على يد (88)عبد الله بن ثعلبة ثم الفقه على يد سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتيبة وأبا بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وكان الزهري يفتخر دائماً بأخذ الفقه من هؤلاء ء فيقول: ((أدركت أربعة بحور عبيد الله بن عبد الله أحدهم)). وقال: ((سمعت من العلم شيئاً كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شعب من الشعاب فوقعت في الوادي)) (89) وقال أيضا: ((وجدت عروة بئراً لا تكدره الدلاء))(90)

---

(83) نفس المصدر ج□ ص□□□.

(84) ابن سعد المصدر السابق ج□ ص□□□،ابن خلكان وفيات الأعيان ج□ ص□□□،الذهبي سير إعلام النبلاء ج□ ص□□□ ابن حجر ،تهذيب ج□ ص□□□.

(85) تذكرة الحفاظ ج□ ص□□□.

(86) الذهبي سير أعلام النبلاء ج□ ص□□□،ابن حجر ،تهذيب ج□ ص□□□.

(87) الذهبي سير أعلام النبلاء ج□ ص□□□.

(88) ابن حجر، تهذيب، ج□ ص□□□.

(89) الذهبي ،سير أعلام النبلاء ج□ ص□□□.

إن حرص الزهري على طلب العلم جعله يرتقي إلى مصاف كبار العلماء حتى قيل عنهم انه جمع علم علماء عصره إلى علمه فصار أعلمهم. (91) ولقد كان للزهري أسلوب خاص في طلب العلم فقد عرف عنه قوة الذاكرة فقال في ذلك ((ما استودعت شكي شيئاً قط ولا شككت في حديث قط)) وانه قال ((ما استودعت قلبي علما فنسيته)) (92) وكان بالإضافة إلى اعتماده على الذاكرة يعتمد على الكتابة لحفظ الحديث فقد كان يكتب كل ما سمع حتى قال أبو الزناد عنه: ((كنا نكتب الحلال والحرام وكان الزهري يكتب كل ما يسمع فلما احتج إليه علمت أنه أعلم الناس)) (93) وعن صالح بن كيسان قال: ((اجتمعت أنا والزهري ونحن في طلب العلم فقلنا نكتب السنن، فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم)) (94).كما أنه كان يتحلى بالشجاعة الأدبية ـــ فيحضر مجالس العلماء ويسأل شيوخها دون أن تمنعه حداثة سنه ويكتب ما يسمع فيها فقد روى إبراهيم بن سعد انه قال: " قلت لأبي: بما ذ ا فاقكم الزهري ؟ قال: كان يأتي المجالس من صدروها ولا يأيتها من خلفها ولا يبقى في المجلس شابا إلا سأله ولا كهلا إلا سأله ولا فتى إلا سأله ولا عجوزا إلا سألها.. " (95)

كما روى إبراهيم بن سعد عن أبيه انه قال: " ما يبقينا ابن شهاب من العلم بشئ إلا أنه كان يشد ثوبه عند صدره ويسأل عما يريد وكنا تمنعنا الحداثة " (96) وكان الزهري يستذكر ما يحفظه مع نفسه فقد جاء عنه انه قال: " إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة " كانت المذاكرة تشغله أحيانا حتى الصبح. فقد روى الليث: " تذكرين شهاب ليلة بعد العشاء حديثا وهو جالس يتوضأ، فما ذاك مجالسه حتى الصبح " (97) كما عرف عنه طول ملازمته

---

(91) الذهبي ،سير أعلام النبلاء، ج [illegible] ص [illegible].

(92) ابن الجوزي صفة الصفوة ج [illegible] ص [illegible].

(93) الرازي ،أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي ([illegible]) الجرح والتعديل ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت [illegible] ج [illegible] ص [illegible].

(94) الأصبهاني حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج [illegible] ص [illegible]، الذهبي سير إعلام النبلاء ج [illegible] ص [illegible]، ابن حجر، تهذيب ج [illegible] ص [illegible].

(95) الاصبهاني، نفس المصدر ج [illegible] ص [illegible].

(96) ابن حجر، المصدر السابق، ج [illegible] ص [illegible].

(97) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج [illegible] ص [illegible].

(98) نفس المصدر السابق ج [illegible] ص [illegible]

لشيوخه، فكان يقول: " جالست سعيد بن المسيب ست سنين تحاد ركبتي ركبته " (98) وكان يحترم شيوخه ويجلهم فقد روي " حدثت عبيدا لله بن عبدا لله بن عتيبة حتى إذا كان خادمة ليخرج فيقول من بالباب فتقول الجارية غلامك الأعمش (99) فتظن أن غلامه. وأن كنت لأخدمه حتى لاستقي له وضوءه " (100) فكان نتيجة هذا الاحترام إن كسب احترامهم بالمقابل وتقديرهم وثقتهم وبذلهم لكل ما يحتاج أليه من معرفة " حتى إن سعيد بن المسيب، قال للزهري: ما مات من ترك مثلك " (101)

رحلاته:

ومن مصادر العلم التي لا غنى للباحث عنها الرحلة، فهي غاية الأهمية مهم في جمع العلم وتحصله ومن استقراء حياة الإمام الزهري نجده رحل إلى مكة والشام وكما يأتي:

رحلته إلى مكة:

لقد كانت رحلته إليها تتكرر في مواسم الحج، فيحقق إضافة إلى المواسم الدينية –أداء فريضة الحج – الالتقاء بعلماء مكة والأمصار والبعيدة وممن التقى بهم فيها عبدالله بن عمر وأبنه سالم فقد روي عن معمر عن ابن شهاب انه قال " كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اقتدي بابن عمر في المناسك، فأرسل اليه الحجاج يوم عرفة إذا أردت أن تروح فأذنا، فراح هو وسالم وأنا معهما.... وكنت خائفا، فلقيت من الحر شدة " (102).

---

(98) الذهبي، سير إعلام النبلاء، ج/ص.

(99) وكان الزهري أحمر الرأس واللحية وفي حمرتها تغير قليل وكان اطميش أنظر، اليسروي ابي يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت هـ)، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري مطبعة الإرشاد، بغداد، المجلد الأول، ص.

(100) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج/ص.

(101) الذهبي، المصدر السابق، ج/ ص.

(102) نفس المصدر، ج/ ص ابن حجر، تهذيب، ج/ ص.

رحلته إلى مصر:

رحل إلى مصر في عهد عبد العزيز بن مروان وكان غرضه من رحلته هذه رحلة علم، والتقى بعدد من العلماء، فقد روي عن عقيل بن خالد انه قال سمعت ابن شهاب يقول: " قدمت مصر على عبد العزيز بن مروان وأنا أحدث عن سعيد بن المسيب قال: فقال لي إبراهيم بن عبدا لله بن قارض: أسمعك تحدث ألم يكن بن المسيب ؟ فقلت أجل... " (103).

رحلته إلى الشام:

وهي من أهم رحلاته وقد اختلفت الرواية في سبب خروجه إلى الشام فقد عدها البعض لطلب الأذن للخروج إلى الجهاد (104) وجعل البعض الأخر سبب الخروج هي الحاجة والفقر وطلبه للعلم (105) وهذه الرواية هي الأقرب لأن الخروج من أجل الأذن للجهاد في سبيل لا يحتاج إلى أذن من الخليفة لوجود الوالي في المدينة و وهو الأقرب عليه أما السبب الثاني فهو الأقرب لكونه قد نشأ فقيرا ويتيما وسبب القتال بين عبدا لله بن الزبير ووالي الأمويين الحجاج بن يوسف الثقفي، عانى أهل المدينة من سوء الأحوال الاقتصادية الأمر الذي أدى بالزهري أن تسوء أحواله الاقتصادية ويعزز ذلك ما طلبه الزهري من الخليفة عبد الملك بن مروان: " أن رأى أمير المؤمنين أن يصل رحمي وأن يفرض فرائض أهل بيتي فأني رجل مقطوع.... " (106)حتى قال له عبد الملك " فرضت لك فرائض أهل بيتك... " (107)وهي الرحلة الأولى إلى الشام وقد التقى فيه بقبيصة بن ذؤيب، فحقق فيها الزهري الفرض العلمي بالتقائه بعلماء دمشق والفرض الاقتصادي من خلال ما فرضه له عبد الملك بن مروان. ثم تكررت رحلته إلى الشام فقد ذكر الزهري " مكثت خمسا وأربعين سنة اختلفت بين الشام والحجاز، فما وجدت حديثا استطرفه " (108)، وأثناء استقراره في الشام أصبح من العلماء الذين يسعى طلبة العلم

(103) ابن سعد ، الطبقات الكبرى، [illegible].
(104) الذهبي سير إعلام النبلاء، ج[illegible] [illegible].
(105) ابن سعيد ، الطبقات، ج[illegible] [illegible]، الأصبهاني، حلية الأولياء، ج[illegible].
(106) الذهبي، المصدر السابق، ج[illegible] [illegible].
(107) نفس المصدر السابق، ج[illegible].
(108) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج[illegible] [illegible]

اليهم (109) وأن كثرة الانتقال مابين الشام والحجاز جعل الكثير يستفيد من علمه الأمر الذي جعله يحتل لقب عالم الحجاز والشام.(110).

علاقة الزهري بالأمويين:

وكانت له علاقة طيبة مع هشام ويزيد أبناء عبد الملك بن مروان فقد كان مقربا منهم لعلمه وفضله واستقامته، فاستقضاه يزيد بن عبد الملك لما عرفه عنه من العلم ما يؤهله لهذا المنصب، أما هشام بن عبد الملك فقد حرص على الاستفادة من علمه بأن عين كاتبين يكتبان كل ما روى الزهري وقد روى بن إبراهيم بن سعد قال: سمعت ابن شهاب يحدث قال: " لقيني سالم كاتب هشام فقال:: إن أمير المؤمنين يأمرك أن،تكتب لوحده حديثك، فقال له: لو سألتني عن حديثي أتبع أحداهما الآخر ما قدرت على ذلك، ولكن أبعث إلي كاتبا أو كاتبين فأنه كل يوم لا يأتيني قوم يسألوني على ذلك مما لم أ سأل فيه بالأمس فبعث بكاتبين " (111)

فقد جعله هشام مؤدبا لولده بعد أن اختبر علمه وحفظه، فقد روي سعيد بن عبد العزيز " سأل هشام الزهري أن يملي علي بعض ولده، فدعا بكاتب فأملي على بعض ولده، فدعا بكاتب فأملي عليه أربعمائة حديث، ثم أن هشاما قال له، أن ذلك الكتاب قد ضاع فدعا الكاتب فأملاه عليه، ثم قابله هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفا " (112). وكان عمر بن عبد العزيز يثق به وبعلمه بالسنة النبوية، وبين حديث عمر عن الزهري المكانة الكبيرة التي خطى بها الأخير " عليكم بابن شهاب هذا فأنكم لا تلقون أحد أعلم بالسنة الماضية منه " (113). وكان حرص الخلفاء على تقريب العلماء من مجالسهم عرفا سائدا وكانت صلة الزهري بالأمراء تدخل ضمن ذلك، فهي صلة نزيهة الغاية لم يترتب عليها ما يخل بعلمه وأخلاقه لذا فأن ما قيل عنه وعن صلته بالأمويين تدخل من هذا الباب لا من باب ما قيل عنه: " أي رجل الزهري لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك " (114).

---

(109) الرازي، الجرح والتعديل، ج□ ص□□.
(110) ابن حجر، تهذيب، ج□، ص□□□.
(111) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج□ ص□□□.
(112) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج□ ص□□□ ،ابن حجر، تهذيب، ج□/ص□□□.
(113) الرازي، الجرح والتعديل، ج□ ص□□ ، ابن خلكان، وفيات الأعيان ج□ ص□□□.
(114) ابن حجر، تهذيب، ج□/□□□.

الزُهري من الناحية العلمية:

كان له دور كبير في الحركة العلمية في عصره،فقد جمع ما لم يجمعه أحد من أقرانه وكان يجمع علمه بكل الوسائل الممكنة تدريبا وتدوينا، وما يهمنا هنا هو دوره في التدوين التاريخي: كان الاهتمام بالتاريخ جزء من الاهتمام بالحديث في عهد كبار التابعين فأبان بن عثمان بن عفان يعتبر أول من أشتهر بمعرفة المغازي وعروة بن الزبير أول من ألف كتابا في المغازي وبعد هذا الجيل جاء الزهري الذي لم يقتصر على رواية المغازي فحسب بل جند نفسه بالبحث والتدوين لكل ما سمع، ومن معرفة دوره في تدوين الحديث نصل إلى معرفة دوره في التدوين، كانت الطريقة المألوفة في تدريس الحديث (115) حتى لقاء الشيخ في المسجد والاستماع إلى علمه لذلك فأن طلاب الحديث يقصدونه لأخذ العلم من كل حدب وصوب، وبهذا لم يختلف عن طريقة شيوخه السابقين في الأمر الذي اختلف (116) فيه الزهري فكان في تدوين لكل ما سمع فعن مالك بن أنس قال " : أول من دون العلم ابن شهاب (117)واعتمد الزهري في تدوينه الحديث على الإسناد (118)،ومع أن الإسناد كان معروفا قبل عهد الزهري ولكن الحاجة إلى السند لم تكن شديدة فلم يكن بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم واسطة، وان كانت فهي لا تتعدى الشخص أو الشخصين، واستمر الحال إلى أن ظهرت بوادر الواضع في الحديث فأخذ كبار التابعين التشديد بالإسناد، وقد ظهر الإسناد عند أبان وعروة لكنهما لم يكونا يحرصان عليه كثيرا، ولكن الزهري كان الأكثر تشديدا والتزاما به وأن الإسناد عنده منهج ثابت في كل وقت كان يحدث به فقد روي عن الزهري: حدث الزهري يوما بحديث: فقلت: هاته بلا إسناد فقال أترقي السطح بلا سلم " وعنه أنه قال: " العلم واد فإذا هبطت واد فعليك بالتؤدة حتى تخرج، فأنك لا تقطع حتى يقطع بك " وكانت أسانيده قوية حيث قال عنه احمد بن حنبل " الزهري أحسن الناس حديثا وأجود الناس إسنادا "

---

(115) الأصبهاني، حلية الأولياء، ج[illegible] ص[illegible].
(116) الذهبي، سير العلام النبلاء ن[illegible] ص[illegible].
(117) الأصبهاني /حلية، ج[illegible] ص[illegible].
(118) الذهبي، سير العلام النبلاء ج[illegible] ص[illegible].

الزهري والتاريخ:

إن نشأة علم التاريخ – كما قلنا – كان جزءا من علم الحديث، فمن غير سابق قصد الزهري ونذر نفسه لجمع الحديث وتدوينه بقصد الأجر من الله، كان يجمع ويدون التاريخ فقد روي محمد بن عجلان عن الزهري أنه قال " فضل العالم على المجتهد مائة درجة ما بين كل درجة خمسمائة سنة خطو الفرس الجواد المضمر " (119). إن تدوينه عن فترة ما قبل وبعد البعثة سير الرسول صلى عليه وسلم ومغازيه، جعلت الكثير من الباحثين عن أصول التدوين التاريخي عند العرب يجعله من أبرز مؤرخي الإسلام في تلك الفترة فهو واضح الخطوط العامة لتدوين المغازي، ومتبع التسلسل الزمني في تثبيت أحداثها.

تأليف الزُهري:

ذكرت المصادر القديمة أن الزهري ألف كتابا (120) في نسب قومه، وكان المصدر الرئيسي في كتاب مصعب الزبيري المعروف " نسب قريش " ، روي عن مالك بن أنس أنه قال: " لم يكن مع ابن شهاب كتاب إلا كتاب في نسب قومه " (121).

وأشارت مصادر أخرى إلى تدوينه منها ما أشار اليه حاجي خليفة (122) حين نسب للزهري كتابا في المغازي (123) حيث لا يعقل أن يعتني الزهري بالأنساب والشعر ويترك المغازي التي هي في الأعمال التي تكسب صاحبها الشرف والرفعة الدينية والاجتماعية كما أن الزهري يشير إلى تأليفه لجده كتاب " أسنان الخلفاء " (124) وكلمة السيرة استعملها الزهري عندما تحدث عن الكتاب الذي لم يتمه لخالد القسري من القبائل،وعلى الرغم من كثرة المدونات التي ذكرت الأصول أنها حملت على ظهر البغال فلم يصل من الزهري أي كتاب إلا مقتطفات من كتب السنة والحديث والتاريخ العام حيث نجدها عند ابن اسحق وابن سعد والوا

---

(119) الأصبهاني، المصدر السابق، ج [illegible].

(120) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج [illegible].

(121) حاجي خليفه، ك شف الظنون، ج [illegible].

(122) هورفتش، المغازي، ط[illegible].

(123) أبو الفرج الأصفهاني، على بن الحسين بن محمد القرشي ([illegible]هـ)، الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبيادي، دارا لشعب في، القاهرة [illegible]م،ج[illegible]، ط[illegible].

(124) الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ، ط[illegible].

قدي والطبري وغيرهم. ومن خلال استقراء الروايات التي أوردتها المصادر عن الزهري يمكن الخروج بجملة من الملاحظات عن أسلوبه أهمها، أن أحداث روايته واقعية يقل فيها طابع المبالغة والتضخيم، ذات أسلوب يتسم البساطة والصراحة ويستند إلى التركيز في ذكر الحوادث والابتعاد عن التعصب.

مادة روايته في الأحاديث (125) التي حفظها عن شيوخه ومن التي جمعها بالبحث بنفسه، موضوعات إخبارية تتصل بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ثم نزول الوحي، والدعوة في مكة، والهجرة ثم الدعوة في المدينة، وكل الحوادث المهمة ومنها خاصة غزواته ثم مرضه ووفاته، بعدها فترة الخلفاء الراشدين وخلافة الأمويين، ذكره الآيات القرآنية التي لها علاقة بأخبار رواياته، والقصص وأخبار الأنبياء الماضية وأهل الكتاب ويورد أحيانا قطعا شعرية في أخباره لما للشعر من أهمية ثقافية وتاريخية في تلك الفترة و لم تقتصر روايات الزهري على المغازي فقط بل توسعت لتشمل الأنساب وتاريخ صدر الإسلام (126) ولذلك يعد الزهري من مؤسسي مدرسة المدينة المنورة بالتاريخ. إن الزهري بهذا الأسلوب والمنهجية من حيث مراعاته للتسلسل (127) الزمني للحوادث مهتم بالإسناد الجمعي (128) ويجمع كل الروايات بخبر متسلسل بعد ن يذكر كل الرواة في السند وهذه أول محاولة لرواية الحديث بأسلوب مختلف عما كان سائدا في أسلوب السند. وقد اعتبر الزهري بحق مؤسس مدرسة المدينة في التاريخ فقد صاغ المنهج العام والخطوط الرئيسية لكتابة السيرة والمغازي، العلم الأساسي الذي تفرعت منه فروع في التاريخ الأخرى. وقد أكمل جهوده العلمية التي تحمل الطابع الجدي لتلاميذه من بعده مثل موسى بن عقبة وابن إسحاق وان بداياته البسيطة بالاهتمام بتجارب الأمم وضعت لتدوين التاريخي أسسا ثابتة فما أبدأه عروة أتضح عند الزهري وهذا ما كان قد أكده الدكتور عبد العزيز الدوري حين قال: " إذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فأن الزهري أسس المدرسة التاريخية في المدينة " .

---

(125) الدوري، المصدر السابق، [illegible].
(126) الرازي، الجرح والتعديل، [illegible].
(127) هورفش الغازي، [illegible].
(128) الدوري، المصدر الثاني، [illegible].

الخاتمـــــــــــــــــــــة

بظهور الإسلام بدأت نظرات جديدة فقد جاء القرآن الكريم بنظرة جدية إلى الماضي، وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها. وجاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ تتمثل بتوالي السنوات إلا أن هذه النظرة العالمية اقتصرت على الفترات التي سبقت ظهور الإسلام أما بعد ذلك فإن الاهتمام أنصب على تاريخ الإسلام. ثم أن القرآن نص على أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم موصى بها وأن سيرته للمسلمين يقتدي بها وهنا نجد دافعا مباشرا لدراسة أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله بسم الله الرحمن الرحيم " أن هو إلا وحي يوحى إليه. علمه شديد القوى " ولقد جاء في قوله تعإلى أيضا " فأقصص القصص لعلهم يتفكرون " الأعراف آية 76 " وجاء قوله تعإلى أيضا " آيات للسائلين وقوله تعإلى " عبرة لأولي الألباب " و " موعظة للمتقين " وقوله تعإلى " فهل ينظرون إلا سنة الأولين، فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا " (فاطر أية 243) و لم يكن الرافد الديني مقتصرا على التفسير وحده إذ إننا نجد أن الأحاديث النبوية كانت موضوعا لعلم يعتبر في تصورنا عظا من أنماط الدراسة التاريخية عند المسلمين، فقد كان علم الحديث الذي يهتم بأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام فرعا من فروع الدراسة التاريخية يهتم برصد فترة من تاريخ الفكر الإسلامي تحملها أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي تعتبر المصدر الثاني من مصادر الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي، وبعد وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عنى المسلمون بجمع الأحاديث النبوية حتى يمكنهم من تفسير القرآن واستنباط أحكام الدين، وقد درج الباحثون المحدثون على القول بأن علم التاريخ عند المسلمين قد نشأ وتطور من ضلع علم الحديث بيد أننا نرى بأن علم الحديث نفسه نمط من أنماط الدراسات التاريخية واللافت للنظر، أن هذا الاهتمام بالأحاديث النبوية كان من أهم روافد الفكر التاريخي لدى العرب بعد الإسلام كما انه أدى إلى ظهور أنماط عديدة من الكتابات التاريخية، إذ إن الاهتمام بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وتقصي صحة أسانيدها قد أدى إلى تتبع سير المحدثين والحفاظ والرواة وفقا لمنهج الجرح والتعديل وبمرور الزمن عرف ميدان الكتابة التاريخية عند المسلمين عظا جديدة في الكتابة

التاريخية هو علم الطبقات الذي كان قاصرا على الاهتمام بطبقات المحدثين. ومن ناحية أخرى كان للاهتمام بالأحاديث النبوية أثره في ظهور نمط آخر من أنماط كتابة التاريخ هو السيرة والمغازي التي كانت استجابة ثقافية لحاجة المسلمين إلى الوقوف على تفاصيل حياة النبي الأعظم عليه الصلاة والسلام وأفعاله حيث نشأ هذا النمط من المعارف التاريخية نشأة دينية خالصة كونها تمركزت في المدينة المنورة وارتبطت بدراسة الحديث ومن ناحية أخرى فأن ظهور هذا النمط في المدينة المنورة يمثل أمرا طبيعيا فهي عاصمة النبوة والخلافة الراشدة وفيه العلم والنبوة وبالتالي أقام فيها صحابته وتابعوه العاملون بسيرته والمشاركون في مغازيه.

فالضرورة العملية إذن هي الحافز الأساس لظهور السيرة والمغازي كنمط من أنماط المعرفة التاريخية، وكانت القيمة التاريخية والحقيقية لهذا التراث تبرز في كونه مرتبطا بتاريخ الأمة برمتها لذلك لم يقتصر رواته على الإلمام بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ودوره في مغازيه فقط إنما رووا تاريخا لفترة الرسالة بكاملها كما أحاطوا بكافة أدوار أعلام الإسلام ومآثرهم في صنع هذا التاريخ وتنقلنا المغازي لأول مرة لكتابة التاريخ الصحيحة لأنها كانت تبحث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته ويجمع أخبار هجرة المسلمين إلى الحبشة وإلى المدينة. وهكذا انحصرت أنماط المعرفة التاريخية التي خرجت من الرافد الديني (القرآن والحديث) في علوم التفسير والحديث والسيرة والمغازي والتاريخ إذ إن مرحلة التطور الحضاري للمجتمع المسلم آنذاك لم تكن ترفض استخداما ت أخرى غير هذه الأنماط، وهكذا بدأت دراسة مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ضمن دراسة الحديث وكان رواد دراسة المغازي محدثين وهذا يفسر لنا أهمية الإسناد أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي ويعني ذلك ربط قيمة الحديث او الرواية بمنزلة المحدثين أو الرواة وكان من أبرز من لمعوا في هذه الفترة عروة بن الزبير ت 93هـ وأبان بن عثمان ت 105 وشرحبيل بن سعد ت 123هـ وبناء على ما تقدم فأن نشأة الكتابة التاريخية لدى العرب بعد الإسلام كانت نشأة عربية خالصة فهي استمرار للتراث التاريخي لدى العرب قبل الإسلام من ناحية ونمط من أنماط المعرفة التاريخية التي نشأت بعد الإسلام مثل التفسير والحديث والسيرة والمغازي من ناحية أخرى. وثمة حقيقة هامة مفادوها أن الكتابات التاريخية الأولى كانت تجمع بن السيرة النبوية والحديث الشريف ثم

تتطرق إلى موضوعات تدخل في نطاق المعرفة التاريخية التقليدية مثل هجرات المسلمين الأوائل إلى الحبشة ويثرب والحروب التي خاضها المسلمون الأوائل تحت قيادة النبي صلى الله عليه وسلم والتي اصطلح على تسميتها المغازي، ومن هذا الذي تقدم ظهرت مدرسة أهل الحديث في المدينة المنورة ولهذه الأسباب جاء موضوع بحثنا مستمدا من الكتابات التاريخية والسيرة النبوية والتي كان لها تأثير على التطورات اللاحقة في ميدان كتابة التاريخ، فقد أخذ المؤرخون في العصور التالية يدونون سير الخلفاء والملوك محتذين خطى السيرة النبوية ومحاولة النسج على منوالها قدر الإمكان، وحيث كتب المؤرخون سير هؤلاء الخلفاء تمثلت في أذهانهم السيرة النبوية من جهة كما جاءت كتاباتهم تعبيرا عن قيم ومثل جديدة من جهة أخرى.